



With thanks to the Schimmel Family for their generous sponsorship of Covenant & Conversation, dedicated in loving memory of Harry (Chaim) Schimmel.

The translation to Arabic was made possible through the generous funding of The Sir Naim Dangoor Centre for Universal Monotheism and the generous donation of Mr. Myron Joshua from Kfar Etzion.

"شموت" هو النصّ الأسبوعي الأول من كتاب "شموت" (سفر الخروج) ويبدأ هذا النصّ الأسبوعي بالآية الأولى من المقطع الأول وينتهي بالآية الأولى من المقطع السادس.

Arabic Translation by The Connecting Hamza NGO

النِّسَاءُ كَقَائِدَاتٍ

كان من الممكن أن يحمل النصّ الأسبوعي التوراتي "شموت" عنوان: "ولادة قائد"، إذ نقرأ فيه عن نبيّ الله ورسوله موسى/موشيه، الذي تبنته ابنة فرعون، فكبر كأمر في قصر فرعون في مصر. ثم نقرأ عنه شاباً حين أدرك للمرة الأولى ما تعنيه هويته الحقيقية، فعلم أنّه ينتمي إلى شعبٍ مستعبدٍ يعاني العذاب والقهر، وذلك كما ورد في الآية العاشرة من المقطع الثاني من سفر الخروج:

"وَلَمَّا كَبُرَ الصَّبِيُّ، جَاءَتْ بِهِ إِلَى ابْنَةِ فِرْعَوْنَ، فَصَارَ لَهَا كَبْنٌ، وَأَسَمَتْهُ مُوشِيَه، قَالَتْ: لِأَنِّي نَسَلْتُهُ مِنَ الْمَاءِ."

وحين خرج موشيه ليطلع على معاناة شعبه، رأى رجلاً مصرياً "يَضْرِبُ رَجُلًا عِزْرَانِيًّا مِنْ إِخْوَتِهِ"، كما ورد في الآية الحادية عشرة من المقطع ذاته من سفر الخروج، فحرّكه هذا المشهد وتدخّل، وهذا ما يميّز به القائد الحقيقي. لقد تدخّل موشيه ثلاث مرّات في حوادث مشابهة لينقذ من يتعرضون أمامه للعنف، وحدث ذلك مرّتين في مصر، ومرّة في منطقة مدين. بعد ذلك، نشهد المشهد العظيم عند العليقة المشتعلة (الكلمة المذكورة في التوراة لوصف هذه العليقة هي "سنيه")، حين دعاه الله عزّ وجلّ لقيادة شعبه نحو الحزبة. وقد تردّد موشيه أربع مرّات، حتى غضب الله عزّ وجلّ عليه، ليُدرِك أخيراً أنّ لا خيار آخر أمامه سوى الاستجابة. وهذه الأحداث التي مرّ بها موشيه أثناء نشأته تتوافق مع النمط الأدبي الكلاسيكي لـ "طفولة البطل"، حيث يمر البطل في صغره بتجارب تشكّل شخصيته وتعدّه لمهامه الكبرى فيما بعد.

لكنّ ما ذكرناه حتّى الآن يقتصر على القراءة الظاهرة للنص. فالتوراة كتابٌ عميقٌ يحتاج قراءة متمعّنة، وهي لا تكشف عن كلّ رسائلها على السطح. فخلف القصة الظاهرة، تكمن قصة أخرى أشدّ إدهاشاً، وهي ليست عن بطل واحد، بل عن ستّ بطلات. ستّ نساء شجاعات، لولاهنّ، لم يكن نبيّ الله ورسوله موشيه ليكون موجوداً.

وإنّ أولى هؤلاء البطلات هي يوخيفيد/يوكابد، زوجة عمّام/عمران، وأمّ الثلاثة الذين أصبحوا القادة العظماء لبني إسرائيل، وهم: ميريّام/مريم، وأهارون/هارون، ونبيّ الله ورسوله موشيه نفسه. لقد امتلكت يوخيفيد، في ذروة الاضطهاد المصريّ، الشجاعة الكافية لتنجب طفلاً، وتخفيه ثلاثة أشهر، ثمّ تضع خطّة تمنحه فرصة أن يتم إنقاذه. ورغم أننا نعرف القليل جدّاً عن يوخيفيد، ورغم أنّ اسمها لا يُذكر في ظهورها الأول في التوراة، إلّا أننا حين نقرأ قصّتها، لا يساورنا شكّ أبداً في شجاعتها وبصيرتها وبراعتها في التصرف والإتيان بالأفكار، وليس من قبيل المصادفة أن يُصبح جميع أولادها من القادة.

أما ثاني هؤلاء البطلات فهي ميريّام، ابنة يوخيفيد، والأخت الكبرى لنبيّ الله ورسوله موشيه. وقد كانت هي التي راقبت بعينها القلقتين الطفلَ بينما كان التابوتُ الصغير يطفو فوق مياه النيل، وهي التي اقتربت من ابنة فرعون بكلّ جرأة، واقترحت عليها أن يتم إرضاعه بين أحضان شعبه. وترسم التوراة صورةً نابضةً لميريّام، حيث تصوّرها كفتاة صغيرة تمتاز بقدرٍ غير معتاد من الشجاعة والاتقاد الذهنيّ. بل إنّ التقليد الحاخامي يذهب أبعد من ذلك، راسماً صورةً أشدّ إبهاراً لها، إذ نقرأ في أحد المِدرّاشات كيف واجهت ميريّام في صغرها أباهَا عمّام وأقنعت به بتغيير موقفه. فبعد صدور أمر فرعون بإغراق كلّ ذكرٍ من مواليد بني إسرائيل في النهر، قرّر عمّام أن يُطلّق زوجته، وأن يدعو جميع رجال بني إسرائيل إلى تطليق نسائهم، حتى لا يأتي جيلٌ جديد من الأطفال إلى هذا العالم القاسي. وقد بدا ذلك منطقيّاً، إذ كيف يصحّ إنجاب طفلٍ عندما يكون هناك احتمالان متساويان أمامه بعد الولادة، هما النجاة أو القتل؟ لكنّ ميريّام، بحسب ما يروي التقليد الحاخامي، خاطبته قائلة: "إنّ قرارك أسوأ من قرار فرعون! فهو لا يقتل إلّا الذكور، أمّا قرارك فيقتل الذكور والإناث معاً. وهو يحرم الأطفال من الحياة في هذا العالم، أمّا قرارك فيحرّمهم من الحياة في العالم الآخر أيضاً". لقد أدعّن عمّام لكلامها، ونتيجةً لذلك وُلد موشيه.¹ وإنّ الرسالة هنا واضحة، وهي أنّ ميريّام كانت تتحلّى بإيمانٍ أعمق من إيمان والدها.

أما البطلتان الثالثة والرابعة، فهما القابلتان شِفْزاه/شِفْزاه وبوعاه/فُوعاه، اللتان أحبطتا أوّل محاولة لفرعون لارتكاب إبادة جماعية بحقّ بني إسرائيل. فحين أمّرتا بقتل الأطفال الذكور عند الولادة، عصتا أوامر فرعون، كما ورد في الآية السابعة عشرة من المقطع الأوّل من سفر الخروج: "فَخَافَتِ الْقَوَائِلُ اللَّهَ وَلَمْ يَصْنَعْنَ كَمَا قَالَ لَهُنَّ مَلِكُ مِصْرَ، وَاسْتَبْقَيْنَ الْبَنِينَ". وعندما استدعاهما فرعون، وجّه إليهما اتهاماً بالعصيان، فراوغتا بقصّة بارعة، قالتا فيها إنّ نساء العبرانيين قويات، وهنّ يلدنّ قبل أن تصل إليهنّ القابلات. وبذلك نجت القابلتان من العقاب، وأنقذتا أرواحاً بريئة.

لكنّ أهمية هذه القصة لا تكمن في جرأتها فحسب، بل في معناها الأخلاقي العميق؛ فهي تُسجّل أوّل مثالٍ في التاريخ على واحدةٍ من أعظم إسهامات الديانة اليهودية في الحضارة الإنسانية، وهي فكرة أنّ هناك حدوداً أخلاقية للسلطة لا يجوز تجاوزها.

ثمّة أوامر لا ينبغي أبداً إطاعتها، وهناك جرائم ضدّ الإنسانية لا يمكن تبريرها بادّعاء: "كنتُ فقط أطيع الأوامر". هذا المفهوم، المعروف اليوم باسم "العصيان المدني"، يُنسب عادةً إلى الكاتب الأمريكيّ من القرن التاسع عشر هنري ديفيد ثورو، وقد ترسّخ في الضمير العالميّ بعد المحرقة النازية ومحاكمات نورمبرغ. لكنّ جذوره الحقيقية تعود إلى آلاف السنين، إلى ما قامت به امرأتان كانت مخافة الله عزّ وجلّ حصناً منعهما من تنفيذ أوامر فرعون، وهما شِفْزاه وبوعاه. ومن خلال شجاعتها الهادئة بلا صخب، نالتا مكانةً سامية بين الأبطال الأخلاقيين في التاريخ، وعلمتانا أنّه إذا تعارض صوت الضمير مع صوت السلطة، فإنّ العدل يسبق القانون، والحقّ يسمو فوق نظام الحكم.²

1. Exodus Rabba, 1:13.

2. There is, of course, a midrashic tradition that Shifra and Puah were other names for Yokheved and Miriam (tractate Sota 11b). In the text I am following the interpretation given by Abrabanel and Rabbi Moshe Chaim Luzzatto.

ثمّة تقليد مِدرّاشيّ يرى أنّ شِفْزاه وبوعاه هما في الحقيقة اسمان آخران ليوخيفيد وميريّام (باب سوتاه 11ب). لكنّي في هذا النصّ أتّبع التفسير الذي قدّمه الحاخام أبرابانيل والحاخام موشيه/موسى حاييم لوتساتو.

أما البطلة الخامسة، فهي تسيبورا/صفورة، زوجة نبي الله ورسوله موشيه. فعلى الرغم من كونها ابنة كاهن مديني، وفي مأمن من الأخطار التي تُحْدِقُ ببني إسرائيل، لم تتردد في مرافقة زوجها إلى مصر. وعلى الرغم من أنها لم تكن مُجْبَرَةً على تعريض نفسها للخطر، ولا يتهدّد ما يتهدّد شعبه، فإنّها اختارت أن تقف إلى جانبه في هذه المهمة العصبية، مشاركة إياه مسؤوليته ورسالته. وفي مقطع غامض وعميق الدلالة، نكتشف أنّها هي من أنقذت حياة موشيه، حين خَتَنَت ابْنَهُما، كما ورد ابتداءً من الآية الرابعة والعشرين وانتهاءً بالآية السادسة والعشرين من المقطع الرابع من سفر الخروج. وإنّ الانطباع الذي تركه فينا هذه الآيات عنها، أننا أمام امرأة تمتلك عزيمة صلبة، وبصيرة نافذة، ويبدو لنا أنّها تدرك، في لحظة مصيريّة، ما يطلبه الله عزّ وجلّ منهما أكثر من إدراك زوجها نفسه.

لقد أبقىّ البطلة الأشدّ إدهاشًا للنهاية، وهي ابنة فرعون. فقد كانت هي من امتلكت الشجاعة لتُنقِذ طفلًا من بني إسرائيل، وتُربّيّه كابنٍ لها، في قصرٍ كان والدها يُخَطِّط فيه لإبادة هذا الشعب. لتتخيّل للحظة، أنّ إحدى بنات هتلر، أو آيخمان، أو ستالين، تفعل الأمر نفسه. هناك شيءٌ بطوليّ ونبيليّ في آن واحد في هذه الشخصية المرسومة برهافة في التوراة، وهي المرأة التي منحت نبيّ الله ورسوله موشيه اسمه.

لكن، من هي هذه المرأة؟ التوراة لا تذكر اسمها. غير أنّه، في الآية الثامنة عشرة من المقطع الرابع من سفر أخبار الأيام الأوّل، يُذكر أنّ لفرعون ابنة تُدعى بيتياه/باتياه. وهي، بحسب ما أورده الحكماء اليهود في تفسيرهم، المرأة نفسها التي أنقذت نبيّ الله ورسوله موشيه وهو طفلٌ صغير داخل تابوتٍ يطفو فوق ماء النهر. واسم بيتياه/باتياه يعني: "ابنة الله". ومن هذا الاسم، استلهم الحكماء واحدًا من أعمق دروسهم الأخلاقية والروحية، حيث قالوا: "قال لها القدّوس، تبارك اسمه: لم يكن موشيه ابنك، ومع ذلك دعوتَه ابنك. وأنّ لستِ ابنتي، لكنني سأدعوكِ ابنتي - بات-ياه."³ وأضافوا أنّها كانت واحدة من القلّة - وعددهم تسعة كما يقول التقليد اليهودي - الذين بلغوا درجة من الصلاح جعلتهم يدخلون الجنة وهم أحياء.⁴

إذن على السطح، يبدو هذا النصّ الأسبوعيّ كأنّه يتحدّث عن قصّة ولادة قائدٍ عظيم. لكن، تحت هذا السطح، تكمن قصّة أخرى لا تقلّ عظمتها، تتحدّث عن ستّ نساءٍ استثنائيات، لولاهنّ لم يكن نبيّ الله ورسوله موشيه ليكون موجودًا أصلًا، ولما واصلَ الرسالة العظمى التي أرسله الله عزّ وجلّ لتحقيقها. وتنتمي هؤلاء النساء إلى سلسلة طويلة من النساء القويّات في تاريخ الشعب اليهودي، من أمثال ذفورا/دبورة، النبيّة والقاضية، وحنه، أمّ النبيّ شموئيل/صموئيل، التي جسّدت نموذجًا فريدًا في صلاتها وتضرّعها لله عزّ وجلّ، وروث، المؤمنة المؤابية التي اتّبعَتْ بني إسرائيل في إيمانهم، وصارت جدّة الملك دافيد/داوود، وإستير، بطلة عيد الطّوريم التي أنقذت شعبها من الإبادة، مرورًا بشخصيات دينية من العصر الحديث مثل ساره شنيرير، المرأة التي أحدثت ثورةً في تعليم البنات في المجتمع اليهودي في بولندا، ونحامه ليبوفيتش، عالمة التوراة التي ألهمت أجيالًا من الطلاب والطالبات؛ ووصولًا إلى شخصيات غير متديّنة، مثل آن فرانك، الفتاة التي وثّقت المحرقة من قلب الظلام، وحنه سينيش، الشاعرة والمجددة في صفوف المقاومة ضد النازيين، وغولدا مئير، أول امرأة تتولّى منصب رئيسة الوزراء في دولة إسرائيل.

ولكن، إذا كانت النساء في نصوصنا وتاريخنا يظهرن كقائدات بكلّ هذا الوضوح، فلماذا استُبعدن من بعض مناصب القيادة في الشريعة اليهوديّة؟ وتكمن الإجابة في التفرقة بين ثلاثة تيجان مذكورة في التقليد اليهودي:

3. Leviticus Rabba, 1:3.

4. Derekh Eretz Zuta 1.

- تاج الكهنوت، الذي أُعطي لأهارون/هارون وبنيه؛
 - تاج المُلك، الذي حُصّ به دافيد/داوود وبنوه؛
 - تاج التوراة، وهو الوحيد الذي لم يُحصر بوراثة ولا نَسَب، ولم تُقَصّ النساءُ قطّ من هذا التاج الأخير.
- وقد كانت هناك نبيّاتٌ كما كان هناك أنبياء، وقد عدّد الحكماء منهم سبعا (التلمود، باب "مغيلاه" 14أ). كما كانت هناك عالِمات توراة، منذ أيّام المشناه، مثل برورياه وإيماء شالوم، وحتى يومنا هذا.

وهنا يأتي تمييزٌ حاسم أورده الحاخام إياهو بقشي دورون في كتابه "بنيان آف"، حيث يُفرّق بين السُلطة الرسميّة، التي تُسمّى "سَمُخوت" باللغة العبرية، والقيادة الفعلية التي تُسمّى "هَنُهاغاه"⁵. فثمة من يشغلون مناصب عليا، مثل الرؤساء، والوزراء، والمديرين العامّين، لكنهم قد لا يكونون قادة على الإطلاق، فهم لا يُلهمون أحداً، ولا يتبعهم أحد، رغم امتلاكهم السلطة لإجبار الناس على فعل ما يقولون.

وفي المقابل، هناك من لا يشغلون أيّ منصب، لكنّ الناس تلجأ إليهم في طلب المشورة، ويحتدون بهم. هؤلاء هم القادة الحقيقيّون. وكان أنبياء بني إسرائيل منهم، وكذلك الـ"غدولي يسرائيل"، أي حكماء كلّ جيل. فلم يشغل الحاخام شلومو يتسحاقي، المعروف بـ"راشي"، ولا الحاخام موشيه/موسى بن ميمون، المُلقّب بـ"رمبام"، منصباً رسمياً. ويقول بعض الباحثين إنّ رمبام كان الحاخام الأكبر لمصر، لكنّ معظمهم يُنكرون ذلك، ويؤكدون أنّ ذريته فقط هي من تولّت هذا المنصب لاحقاً. فحين تعتمد القيادة على الكاريزما الشخصيّة، كما وصفها ماكس وير، لا على اللقب أو المنصب، لا يعود ثمة فرق بين الرجال والنساء.

لم تكن يوخيفيد، ولا ميريام، ولا شُفراه، ولا پوعاه، ولا تسيبورا، ولا بيتياه، قائدات لأنّهنّ شغلن منصباً رسمياً، بل كنّ قائدات رغم غياب أي سلطة تقلدنها. أمّا بيتياه، فقد كانت قائدة رغم كونها أميرةً مصريّة، لا بسبب ذلك. وإنّ ما جعلهنّ قائدات، هو ضميرهنّ الحيّ وشجاعتهنّ، فقد رفضن الانحناء للسلطة، والاستسلام للظروف. وإنّ هؤلاء النساء هنّ البطلات الحقيقيّات للخروج من أرض مصر، وشجاعتهنّ لا تزال مصدر إلهام لنا حتّى يومنا هذا.

5. Rabbi Eliyahu Bakshi-Doron, *Shut Binyan Av* (Jerusalem: Binyan Av Institute, 2009), no. 6

Arabic Translation by The Connecting Hamza NGO

Sponsored by The Sir Naim Dangoor Centre for Universal Monotheism, Bar Ilan University and the generous donation of Mr. Myron Joshua from Kfar Etzion



Jonathan Sacks
THE RABBI SACKS LEGACY

Facebook Twitter Instagram YouTube | RABBISACKS.ORG